

كتاب الادب والمروءة

« عني بنشره الشيخ طاهر الجزائري »

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين قال صالح بن جناح : اعلم ان العرب قد تجعل للشيء الواحد اسما وتسمى بالشيء الواحد اشياء فاذا صنع لك ذكر شيئا فاذكره باحسن اسمائه فان ذلك من المروءة وانما المرء بمروءته فالمروءة اجتناب الرجل ما يشينه واجتناء ما يزيه وانه لامروءة لمن لا ادب له ولا ادب لمن لا عقل له ولا عقل لمن ظن ان في عقله ما يغنيه ويكفيه عن غيره وشتان ما بين عقل وافر معه خمسون عقلا كلها وافر مثله واوفر منه ومن عقل وافر لا فائدة معه وفي ذلك اقول شعراً :

وما ادب الانسان شيئا كعقله * ولا زينة الا بحسن التأدب

وقال ان الاقنعة مزارع اللسن فنهنا ما ينبت مازرع فيه من حسن ولا ينبت ماسمج ومنها ما ينبت ماسمج ولا ينبت ما حسن ومنها ما ينبت جميع ذلك ومنها ما لا ينبت شيئاً وان من المنطق لما هو اشد من الحار وانفذ من الابر وامر من الصبر واجر من الأسته وانكد من زحل ولربما احتقرت كثيراً منه على حرارته ومرارته ونكده مخافة ما هو احر منه وامر واقطع وانكد وفي ذلك اقول شعراً :

لقد اسمع القول الذي كاد كلما * يذكرني الدهر قلبي يصدع

فابدي لمن ابداه مني بشاشة * كأني مسرور بما منه اسمع

وما ذاك من عجب به غير اني * ارى ان ترك الشر للشر اقسطع

وقال في ذي الوجهين : من اظهر ما تحب او تكره فانما يقاس ما اضمربا اظهر لانك لا تقدر ان تعرف ما اسر وقال :

ليس المسمي اذا تغيب سره * عندي بمنزلة المسمي المعلن

من كان يظهر ما احب فانه * عندي بمنزلة الامير المحسن

والله اعلم بالقلوب وانما * لك ما بدا لك منهم بالالسن

ولقد يقال خلاف ذلك انما * لك ما بدا لك منهم بالاعين

وقال في الصدود : اما بعد فقد احضرتني من صدك ما لبستي من ودك ولم يزل
يجري في لحظك ما يدخلني في رفضك ويداني على غل صدرك وفي ذلك اقول
شعراً :

تظل في قلبه البغضاء كأمته * فالقلب بكتها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محدثها * من كان من حزنها او من يعاديها
عينك قد دلنا عيني منك على * اشياء لولاهما ما كنت ادريها
ان الامور التي نخشى عواقبها * ان السلامة منها ترك ما فيها
وقال في كثرة المال وقلته : لا تستكثر مال احد ولا تستقله حتى : لم ماعياه فان
من كثر ماله وعياله فهو مقل ومن قل ماله وعياله فهو مكثر

وقال في ذكر الاحق ودخوله فيما لا يعنيه : واكثرهم دخولا فيما لا يدخل فيه
وارضاه بما لا يكفيه — عدوه اعلم بسرهم من صديقه وصديقه قد غص منه بريقه
ولا يثق بمن نصحه ولا يتهم من خدعه ولا يأمن الا من يخونه ولا يحفظ الا من
يحفظه ولا يكرم الا من يهينه اشبه شيء خلقا بالثيم ان احسنت اليه لم يشكر وان
اسأت اليه لم يشعر لا يتفكك من وجه الا شريك من وجوه : ان اقبل عليك لم
يسرك وان ادبر هتك لم يسرك ان افسد شيئاً لم يحسن ان يصلحه وان اصلح شيئاً
افسده ان احبته فرأى منك حسناً لم يحسن ان ينشره وهو مع ذلك بخطئه اشد
اعجاباً من العاقل بصوابه ان جلس الى العلماء لم يزد الا جهلاً وان جلس الى الحكماء
لم يزد الا طيشاً وانما جعل نفسه المحدث لهم بكلفهم ان يكونوا المنتصين له اعيان الناس
اذا تكلم والبلد اذا تعلم واصحابهم لمن يشينه وارفضهم لمن يزينه واشدهم في موضع
اللين واللينهم في موضع الشدة واجبنهم في موضع الشجاعة ان افتقر عجب من الناس
كيف يستغنون وان استغنى عجب من الناس كيف يفتقرون لا يفهم ان حدثه ولا
يفقه ان افهمته ولا يقبل ان وعظته ولا يذكر ان ذكرته وفي ذلك اقول شعراً :

المزمع يصرع ثم يشقى دأؤه * والحق داء ليس منه شفاء

والحق طبع لا يحول مركب * ما ان لاحق فاعلمن دواء

وقال في ذكر الهوى : ان من الناس من اذا هوى عمي ومنهم من اذا هوى ابصر
مرة وعمي اخرى ومنهم من اذا هوى لم يكذب يخفى عليه شيء وهو اللبيب العاقل الحليم
الكامل الذي ان اعجبه امر نظر الى هواه وعقله فان انتقسا اتبعهما وان اختلفا اتبع

عقله وترك هواه وكان امره معتدلاً يشبه بعضه بعضاً وقليل ما هم وفي ذلك اقول شعراً :

املك هواك اذا دعاك قريباً * قاد الخليم الى الهلاك هواه
الله يسعد من يشاء بفضله * واذا اراد شقاءه اشقاءه
وقال ايضاً سيفه اس تحسن وجوههم عند حاجتهم وتغير وجوههم عند غناهم
شعراً :

ارى قوما وجوههم حسان * اذا كانت حوائجهم النسا
وان كانت حوائجنا اليهم * تغير حسن اوجهم علينا
ومنهم من سيمتع مالهديه * وبغضب حين يمتنع مالهدينا
فان يك فعلهم شحاً وفعلنا * قبيحاً مثله فقد استويننا
وقال فيمن فعل امراً لا يحسن ان يحتال له : اعلم ان من قاتل بغير عدة او خاصم
بغير حجة او صارع بغير قوة فهو الذي صرع نفسه وخضم نفسه وقتل نفسه فان ابتليت
بقتال احد او محاسمته او مصارعته فاحسن الاعداد له واعرف مع ذلك عدته
وابصر حجتة واخبر قوته كما يخبر قوتك وحجتك وعدتك فان رأيت تقدماً والا كان
التأخر قبل التقدم خيراً من التندم بعد التقدم وفي ذلك اقول شعراً :

اذا ما اردت الامر فاعرفه كله * وقسه قياس الشرب قبل التقدم
لعلك تجو سائلاً من ندامة * فلا خير في امر اتى بالتندم
وان من الناس من يبرز حجة او عدة او قوة فتكون عدته هي التي تقتله وقوة
التي تصرعه وحجته التي تخصمه وذلك انه ربما اذل لقاتل قبل ان يعلم اهو اعد
ام الذي يقاذه وكذلك في الذي يخاصمه ويصارعه فاذا هو قد قتل او صرع او خضم
فلم ينفعه جودة عدته ولا قوة حجتة حين اتى الامر من غير جهته وفي ذلك اقول :

اذا ما نيت الامر من غير وجهه * تصعب حتى لا ترى منه مرئفا
فان الذي يسطاد بالفض ان عتا * على الفخ كان الفخ اعنى واضيقا
وقال في الذي يعاتب الناس بنير مودتهم ويوجب حق نفسه عليهم : لاندع
الناس الى برك واجلال امرك وتعظيم قدرك بالمعاقبة ولكن ادعهم الى ذلك بما
تستوجب منهم وانظر الامر الذي اكرم به من هو اعد منك وقرب به من انت
اقرب منه فالزمه فانك ان تلزمه لم تحتاج معه الى معاقبة ولا استبداء حق لانك ان

دعوتهم الى نكرمتك بغير ماتسوجب التكرمة به فالتما دعوتهم الى اهانتك اما بكلام
يجرحك واما بفعل نقدحك وان دعاهم الى ذلك فضلك اجابوا اما بشئ يرفعك او
يجزاه ينفعك .

وقال في معرفة الاخوان انك لن تعرف احاك حق المعرفة ولن تخبره حق الخبر
ولن تجرب به حق التجربة وان كنتما في دار واحدة حتى تسافر معه او تعامله بالدينار
والدرهم او تنفع في شدة او تحتاج اليه في مهمة فاذا بلوته في هذه الاشياء فرضيته
فانظر فان كان اكبر منك فاتخذ ابا وان كان اصغر منك فاتخذ ابنا وان كان مثلك
فاتخذ اخا وكن به اوثق منك بنفسك في بعض المواطن وقال : كن من الكرم على
حذر ان اهنته ومن اللئيم ان اكرمه ومن العاقل ان اخرجته ومن الاحمق ان مازحته
ومن الفاجر ان عاشرتة ولا تدل على من لا يحتمل ادلالك ولا تقبل على من لا يجب
اقبالك وكن حذراً كأتك غر وكن ذا كراً كأتك ناس والزم الصمت الى ان
يلزمك التكلم فما اكثر من يندم اذا نطق واقل من يندم اذا لم ينطق واذا ابتليت
فعند ذلك تعرف جودة مناعتك وقلة زلك وسعة عفوك وقلة حيلتك ومنفعة قوتك
وحسن تخلصك واعلم ان بعض القول انمض من بعض وبعضه ابين من بعض وبعضه
اخشن من بعض وبعضه الين من بعض ولو كان واحدا فان الكلمة اللينة لثمين من
القلوب ما هو اخشن من الحديد وان الكلمة الخشنة لثمين من القلوب ما هو الين من
الحرير وان اعظم الناس بلاء وادومهم غناء واسلوهم شقاء من ابتلي بلسان مطلق
وفوقه مطبق فهو لا يحسن ان ينطق ولا يقدر ان يسكت واعلم ان ليس يحسن ان
تجيب من لا يسألك ولا تسأل من لا يجيبك وفي ذلك اقول شعرا (١)

ولا خير في حلم اذا لم يكن له * بوادر تحمي صفوه ان يكذرا

ولا خير في جهل اذا لم يكن له * حلم اذا ما لورد الامر اصدرا

وقال في الرفق بالدواب : ان رفق الرجل بدوابه وحسن تعاوده لها وقيامه عليها
عمل من اعمال البر وسبب من اسباب النقي ووجه من وجوه المروءة : وقال التدبير مع
المال القليل خير من المال الكثير مع سوء التدبير وانما المنفقون ثلاثة جواد مبذر
وكريم مقدر ولثيم مقتروفي ذلك اقول شعرا :

رب مال سينعم الناس فيه * وهو عن ربه قليل الفناء

(١) نية هذين البيتين الى تفه من قيل اليوم فانها من قصيدة النافذة الجعدي

كان يشقى به وينصب حيناً * ثم امسى لعشر غريباً
 ماله عندهم جزاء اذا ما * انعموا فيه غير سوء الثناء
 رب مال يكون غماً وزماً * وغني يعد في الفقراء

وقال في تصنيف الطعام اذا كنت ممن يؤكل طعامه وتحضر مائدته ويؤكل معه فليكن الذي يتولى صتعة طعامك من الب الناس في عمله وانطقهم في يديه ولا تدع اعلامه ان احسن ولا انذاره ان اساء فان تعبتك عليه خبر من تعبت الناس عليك واعلم ان لكل شيء غاية وان غاية الاستنقاء التنظيف في الاستنجاء والاكثر من الماء حتى يستوي اليدان والريح والمنظر فانه لاطيب اطيب من الماء ولو انه المسك وما اشبهه من الاشياء وانما يستدل على نظافة الرجل بنقاء ثوابه وانما يكون القدر في الحتمى من الرجال والنساء وبه يستدل على بلادهم وفي ذلك اقول شعراً
 ولا خير قبل الماء في الطيب كله * وما الطيب الا الماء قبل التطيب

وما انظف الاحرار في كل مطعم * وما انظف الاحرار في كل مشرب
 وقال في صفة العدو والصديق : احرم ان لا يراك صديقك الا انظف ماتكون ولا يراك عدوك الا احسن ماتكون فاما الصديق فان كان الذي اعجبه منك خلقك او خلقك ولها كان يحبك فكلما ازدادت حسنا كان حبه لك اكثر ورغبته فيك اوفر (واكثر عندك واكثر لك في صدره) (١) وادوم له على عهدك واما العدو فليس شيء اعجب اليه من دمايتك وخسامتك فاحترس منه واطهر الخليل فليس شيء اعجب اليه من التمكن منك فانظر ان لا يكون شيء اعجب اليك من التحصن منه

وقال في العقل والادب : اعلم ان العقل امير وان الادب وزير فان لم يكن وزير ضعف الامير وان لم يكن امير بطل الوزير وانما مثل العقل والادب كمثل الصيقل والسيف فان الصيقل اذا اعطي السيف اخذه فصقله فعاد جمالاً ومالاً وعفدا يعتمد عليه وينتجى اليه فالصيقل الادب والسيف العقل فاذا وجد الادب عقلاً تفقه ووقفه وقواه وسدده كما يصنع الصيقل بالسيف واذا لم يجد عقلاً لم يعمل شيئاً لانه لا يصلح الا ما وجد وان من السيوف لما يصقل ويسقى ويخدم ثم يباع بادني الثمن ومنها ما يباع بزينته دراويز جداً وذلك على نحو الحديد وجودته اوردايته وكذلك الرجال لا يتأهبان بادب واحد ثم يكون احدهما انفذ من الآخر اضعافاً مضاعفة وانما ذلك على

(١) وجدت هذه الجملة بالاصل من غير نقط طبع

قدر العقل وقوته في الاصل وفي ذلك قلت شعراً

وقد يصلح التأديب من كان عاقلاً * وان لم يكن عقل فلن ينفع الادب

وقال في المراء: اذا اجتمع اهل نوع فتذاكروا على نوعهم ذلك فلم يكن اصل كل واحد منهم ان ينفع بما استمع وينتفع بما سمع فاعلم ان تذاكرهم ذلك من اول المراء يصدع العلم ويوهن الود ويورث الجلود وينشيء الشحنة وينغل القلب وفي ذلك اقول شعراً

تجنب صديق السوء واصرم حباله * فان لم تجد عنه محيصاً فداره

واحجب صديق الخير واحذر مراءه * نزل منه صفو الود ما لم تماره

وقال في الحكمة: اما ما يستمع من كثير من الحكمة فان اوله شيء يخطر على الاثنية اذا خطر وهو اصغر من الخردلة وادق من الشعرة واهن من البعوضة ثم تحركه الالسة وتنبذه الاثنية كما يحاك البرد وكما يمد النهر فيعود اكثر من الكثير واوثق من الحديد واثنى من الجوهر واحسن من الذهب وانفع من كليهما لانه يزيد في المنطق ويزكي الذهن ويعين على الابلاغ ويتجمل به القائل ويتقلب فيه كيف يشاء ويختار منه ما يشاء فينتفع به اللطيف ويقل به السفيه ويتزايد به الكفيف ويتأيد به الضعيف ويزداد به الابد قوة في منطق وبلاغة في كتبه فيكون في حفظه منفعة للخطباء في خطبتهم وللبلغاء في بلاغتهم وكتبتهم وللكرماء في بشاشتهم وللشعراء في قصائدهم فاذا كنت ممن يؤلف حكمة او يضع رسالة او يذكر في مهمة فلا تكلم قلبك ولا تكرر ذنوبك فانه اذا اكره كل ووقف ولكن ان كنت في شيء من ذلك فاستعن بالتفرغ منه على التفرغ له والنأخر عنه على التقدم فيه فان الذهن يجم كما يجم البرو يصفو كما يصفو الماء .

وقال في الكلام واخراجه: اعلم ان مثل الكلام كمثل الحجارة فمنها ما هو اعز من الذهب والفضة ومنها ما لا يعطى في الصخرة العظيمة منه درهم وفي ذلك قول شعراً

وما الحجر الكبير اعز فيما * خلفت به من الحجر الصغير

وكم ابصرت من حجر خفيف * صغير يبع بالثمن الكثير

وقال في خالقة الوجه وحسن الخلق: كن اسهل ما تكون وجهاً واظهر ما تكون بشراً واقصر ما تكون امدا واحسن ما تكون خلقا والين ما تكون كنفاً واوسع ما تكون

اخلاقاً فان الایام والاشیاء عقب ودول فان انكرت منها شيئاً يوماً ما كان (ما)
انكرت منها شيئاً خفياً على اهل الشئانة وعلى اهل الصفاء واحذر ان تحزن من يحبك
وتفرح من يحسدك فلم ار في مصاب الدهر مصيبة اوحش من تغيير النعمة وان
انت لم تنكر منها شيئاً ودامت لك بما تريد فما من الدنيا شيء تناله بدعة ورفق الا وهو
اهناً مائيل يتعب ونصب فاما من كفي وعوفي فما يصنع بالغضب والتضايق رانها هم
العمر ونكد الدهر وفي ذلك اقول شعراً

ما تم شيء من الدنيا علمت به * الا استحق عليه النقص والغیر
ولا تغير من قوم نعيمهم * الا تكدر منه الورد والصدر
فعاد غماً ولن تلقى امراً ابداً * (اغم) من ملك ايام يفتقر
وقال في الكذب :

كذبت ومن يكذب فان جزاءه * اذا ما اتى بالصدق ان لا يصدقاً
وقال فيه ايضاً

اذا ما رأيت المرء حلواً لسانه * كذوباً فابقن انه لا حياء له
ولا خير في الانسان ان لم يكن له * حياء ولا في كل من لا وفاق له
وقال في الاخوان

ليس من كان في الرخاء صديقاً * وعدو الصديق بعد الرخاء
عدة في اخائه لصديق * انما ذاك عدة الاعداء
لو خفرنا بذی اخاء امين * لاشترينا اخاءه بالغلاء
لو وجدنا اخاً متيناً اميناً * لانشأنا اخاءه للشفاء

اما الرفقاء في السفر والجلساء في الحضر والخلطاء في النعم والتركاء في العدم
فاحفظ مصاحبتهم وواظب على اخائهم وفي ذلك اقول شعراً

وكن اذا صحبت رجال قوم * صحبتهم وشيمتي الوفاء
فاحسن حين يحسن محبتهم * واجتنب الاساءة ان اساءوا
وابصر ما بعيبيهم بعين * عليها من عيوبهم غطاء
اريد رضاهم ابداً وآتي * مشيتهم واترك ما اشاء

لا تبدئن احداً بصغير مما يكره ولا بكبيره ولا بقليل مما يستخط ولا بكثيره فان
ابتداءك احد بشيء من ذلك فقد ردت على الانتصار منه فغفوت او انتصرت فما احسن

جميع ذلك الا ان العفرا اكرم والانتصار اعز وكلاهما حظ وفي ذلك اقول شعراً
(فما ذات باب بحمد فها علمت عليه من طرق الصواب ٥٥ ك

واي الناس الأم من سفيه * يقول ولا يخاف من الجواب

وقال في الجبل : اياك والجبل فانما تجهل على ثلاثة رجل انت اعز منه ورجل
هو اعز منك ورجل انت وهو في المز سواء فاما جهلك على من انت اعز منه فلو لم
واما جهلك على من هو اعز منك فخيف واما جهلك على من هو مثلك فمراش مثل
مراش الكلبين ولن يفترقا الا مفضوحين او مجروحين وليس هذا من فعال الحكماء
والعلماء الخليم ارزن والجهول انقص وفي ذلك اقول شعراً

ما تم علم ولا حلم بلا ادب * ولا تجاهل في قوم حليمان

ولا التجاهل الا ثوب ذي دنس * وليس يلبسه الا سفيهان

وقال في رؤية الرجل وخبره ان من الناس من يعجبك حين تراه وتزداد عند
الخبرة اعجاباً به) ومنهم من تبغضه حين تراه وعند الخبر تكون له اكثر بغضاً ومنهم
من يعجبك مخبره ولا يعجبك منظره ومنهم من يعجبك منظره ولا يعجبك مخبره وفي
ذلك اقول شعراً

ترى بين الرجال العين فضلا * وفيما استمروا الغبن الغيب

ولون الماء مثبته وليست * تخبر عن مذاقه العيون

فلا تعجل بنطق قبل خبر * فعند الخبر تنصرم الظنون

وقال ايضاً في ذلك

وما صور الرجال بها امتحان * وما فيها لمعتبر بيان

ولكن فعلهم ينبيك عنهم * به تجب الكرامة والهوان

وما الانسان لولا اصفره * سوى صور بصورها البنان

وقال ايضاً

لم ازل ابغض كل امرئ * وجهه احسن من خبره

فهو كالغصن يرى ناصراً * ناعماً يعجب من زهره

ثم يبدو بعده ثمر * فيكون السم في ثمره

وقال في النهي عن التبيح : واذا رأيت من احد امراً فنهيت عنه فلم يحمدك
ولم يذم نفسه على مكانه او يحدث حدثاً تعلم انه قد انتفع بمقالتك فان ذلك عيب

آخر قد بدا لك منه لعله اقبح من الذي نهيته عنه وفي ذلك اقول شعراً :
 ولا نهيته غوياً من غوايته * الا استزاد كافي كنت اغريه
 ولا نصحت له الا تبين لي * منه انبغاه كافي كنت اغويه
 وقال في المواقفة : لا تواخ احداً الا على اختيار منك له وارتضاء منك به
 والفاق منه لك فاذا اتفق امركا كذلك فاعلم ان كلاكما يحسن ويبيي ويصيب
 ويختلي ويحفظ ويضيع قومان نفسك على الشكر اذا حفظ وعلى الصبر اذا اضاع
 وعلى المكافاة اذا احسن وعلى الاحتيال والمعاينة اذا اساء فان معاينة الصديق اذا اساء
 احب الى الخليم من القطيعة في معاينة من تواخيه وفي ذلك اقول شعراً :
 واذا عتبت على امري احبته * فتوق ضار عتبه وسبابه
 والن جناحك ما استلان لوده * واجب اخاك اذا دعا لجوابه
 واحرص ان تعرف موقعك من كل احد حتى من اييك وامك فان من السخافة
 ان تكون لايحك فيما يحب ويكون لك فيما تكره وما اقبح ان تكون له فيما يكره
 ويكون لك فيما يحب واعلم ان من تنفعك صداقته ولا تضرك عداوته الكريم الذي
 ان احسنت اليه كافاك وان اسأت اليه عاتبك واما من تضرك عداوته ولا تنفعك
 صحبته فهو الجاهل السفیه اللئيم وفي ذلك اقول شعراً :
 من الناس من ان يرض لا تنتفع به * ولكن متى يسخط فما شئت من ضرر
 ضعيف على الاعداء لكن قلبه * اشد اذا لاق الصديق من الخير
 وقال في ثقل الدنيا شعراً :

انما الدنيا سراج * ضوءه ضوء معار
 بينا غصنك غصن * ناعم فيه اخضرار
 اذ رماه الدهر يوماً * فاذا فيه اصفرار
 وكذلك الليل باقي * ثم يحسوه النهار

وقال في المداراة : اذا هبمت بلداً اهلها على غير ما تعرف وانت على غير ما يعرفون
 فالزم كثيراً من المداراة فما اكثر من داري ولم يسلم فكيف من لم يكن منه مداراة
 وفي ذلك اقول شعراً :

ياذا الذي اصبح لا والداً * له على الارض ولا والده
 قدمات من قبلهما آدم * فاي نفس بعده خالده

ان جئت ارضا اهلها كلام * عور فغمض عينك الواحد
وقال لائقان احداً تجدد من قتاله بدأ فأتانا الحق لمن غلب ولا غالب الا الله وان
آخر الدواء الكي فلا تجعله اولاً وفي ذلك اقول شعراً:

وكم رأينا من اغي غبطة * اصبح مسروراً وامسى حزينا

وكم فني يركب طاحونة * للحرب قد اصبح فيها طينا

وقال في الاعار والايار:

كم من صديق لنا ايام دولتنا * وكان يمدحنا قد صار يهجونا

انني لا عجب ممن كان يصحبنا * ما كان اكثرهم الا براونا

لم ندر حتى انقضت عنا امارتنا * من كان ينصفنا او كان يغوينا

من كان ينصفنا ما كان يصحبنا * الا ليخدعنا عما بايدنا

وقال في العلة والتفضل: لا يكن من وصلك احق بصلتك منك بصلته ولا من
تفضل عليك اولى بالتفضل منك عليه فانما انت وهو كرجلين ابتدرا اكرومة فقصر
احدهما وبلغ الآخر فانما القاصر قصر عن حفظ نفسه واما البالغ فبلغ بحصيل امره
وعظيم قدره

وقال في القدر: اذا كان الرجل لبيباً فاعلم انه كامل ولكن لن يقدمه ذلك الى
ما كان يطالب ولن يؤخره عما كان يحاذر الا بقدر يلقى به ما طلب ويسبق به
ما يحذر وان من الناس من يؤتي منطقاً وعقلاً ولا يؤتي مالا ومنهم من يؤتي
مالاً ولا يؤتي غيره فيحتاج مع ماله الى عقل ذي العقل ومنطقه ويحتاج ذو العقل
الى مال ذي المال ورفده وينهض هذا بهذا وهذا بهذا (١) فليس لاحدهما
اذا غنى عن الآخر) فاحوج الملك الى السوق واحوج السوق الى الملك

وقال في التفاضل: لا ثقل فلان اغنى مني وانا احزم منه فانه لو جمع العقل والشدة
والشجاعة والمال واشباه ذلك لقوم وبقي قوم لاشي لم يهلكوا ولكن الله عز وجل
قال اقم بقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات فاوتي بعضهم عقلاً وبعضهم قوة وبعضهم مالا مع اشياء مما يكون
فيه صلاحهم وبه معاشهم ثم احوج بعضهم الى بعض فعاشوا وانما مثل الرجل ورزقه
ومثل عقله وادبه ومروءته وحكمه كمثل الزامي ورميته فلا بد للزامي من سهم ولا بد

(١) في الاصل فليس لانيها اذا

لسهمه من قوس ولا بد لقوسه من وترو لا بد لجميع ذلك من قدر يبلغ به مارشق
ويصيب به ما يبلغ ويحوز به ما اصاب والا فلا شيء فالرامي الزجل والرمية الرزق
ولا يجمع بينهما عقل ولا عز ولا شيء من ذلك الا بقدر وفي ذلك اقول شعراً :
ما للقوس الاعصا في كف صاحبها * يرعى بها الضان او يرعى بها البقر
او عود بان وان كانت معقفة * حتى يضم اليها السهم والوتر
وان جمعت لها هذين فهي عصا * حتى يساعد من يرمي بها القدر
وقال : ان حسن السميت وطول الصمت ومشى القصد من اخلاق الاتقياء وان
سوء السميت وترك الصمت ومشى الغيلاء من اخلاق الاشقياء فاذا مشيت فوق الارض
فاذكر من تحتها وكيف كانوا فوقها وكيف حلوا بطنها وكيف كانوا اعلم ان ابن
آدم اعز من الابد واشد من العمد مالم تصبه ادنى شوكة وادنى مرض وادنى مصيبة
فاذا اصابه شيء من ذلك وجدته اهون من المدة وامهين من البعوضة فلا يغرك تجريره
وتكبره وتفرعده واستطالك وفي ذلك اقول شعراً :

ولاتمش فوق الارض الا نواضعاً * فكم تحتها قوم هم منك ارفع
فان كنت في عز وحرز ومنعة * فكم طامع من قوم هم منك امنع
وقال في الغنى والقتوع : ان الغنى في القلب فمن غنيت نفسه وقلبه غنيت بداه ومن
افتقر قلبه لم ينفعه غناه وفي ذلك اقول شعراً :

اذا المرء لم يقنع بشيء فانه * وان كان ذاسل من الفقر موقر
اذا كان فضل الله يغنيك عنهم * فانت بفضل الله اغنى وايسر
وقال في الرأي والمشاورة : اذا استشير نفر انت احدهم فكن آخر من يشير فانه
اسلم لك من الصلف (١) وابعد لك من الخطأ وامكن لك من الفكر واقرب لك من
الحزم وفي ذلك اقول شعراً :

ومن الرجال اذا زكت احلامهم * من يستشار اذا استشير فيطرق
حتى يجول بكل واد قلبه * فيرى ويعرف ما يقول فينطق
فبذلك يطلق كل امر موثق * وبذلك يوثق كل امر يطلق
ان الحليم اذا تفكر لم يكذب * يثني عليه من الامور الاوفق
وقال في النعي عن مجالسة اهل الاهواء والبدع ومحادثتهم : اما هذه الاهواء فاني

لم ار احداً ازداد فيها بصيرة الا ازداد فيها عمی لان امر الله اعز من ان تلحقه العقول ولم
ار اثنين تكلموا فيها الا رأيت اسكل واحدا منها حجة لا يقدر صاحبه على دفعها الا
بالشبهة والمغالطة واما بالصريحة فلا ومن غلط في هذا او مثله فاما يقال نفسه وعليها
يخطا وايها يخطع او اراد ان يخادع ربه والله اعز من ان يخدع لقد ثبت ان الله تبارك
وتعالى اوحى الى نبيه موسى صلى الله عليه وسلم لا تتجادل اهل الاهواء فيرفعوا في قلبك
شيئاً يوردك به الى النار فهذا امر نهى عنه موسى عليه السلام وقد اعطى التوراة فيها
هذى الله وقد كلم الله موسى تكليماً فكيف بغيره من اهل الاهواء ولم يزل الصالحون
يتناهون عن الهوى والمرء فيه والجلد به ولم ار قياساً قط تم ولا كلاماً صح الا وفيه
كلام بعد كثير فالسنة ان لا يشكك في شيء من الاهواء بالهوى وبغير الاتباع للكتب
النزلة والسنن للرسل الصادقة وفي ذلك اقول شعراً :

انما اعطى الانسان شيئاً من الجدل * فلم يعطه الا لكي يمنع العمل

وما هذه الاهواء الامصائب * يخص بها اهل التعمق والعمل

وقال في النخبة : اياك والقيمة فانها لا تترك مودة الا فسدتها ولا عداوة الا جددتها
ولا جماعة الا بددتها ولا ضيقة الا اوقدتها ثم لا بد من عرف بها او نسب اليها ان
تحتفظ من محاسنها ولا يوفق في ناحيتها وان يزهد في مناقشتها وان يرغب عن مواصلتها
وفي ذلك اقول شعراً :

تمشيت فينا بالخير وانما * بفرق بين الاصفياء النائم

فلازلت منسوباً الى كل آفة * ولازال منسوباً اليك اللوائم

وفي مثله اقول

كالسيل في الليل لا يدري به احد * من اين جاء ولا من اين يأتيه

فالويل للعبد منه كيف ينقسه * والويل للود منه كيف يبله

وقال : اذا قبل لك اي شيء اطول فقل الكلام واذا قبل لك اي شيء اقصر فقل
الكلام لان الكلمة الواحدة قد تكون جواباً لالف كلمة وقد يكون جوابها الف كلمة
واكثر ولن تدرك الكلام حتى تذرهُ ولن تذرهُ حتى تحذرهُ وفي القول خطأ كثير
وبعض صواب وان الصمت منه لا صوب فأتارك منه ما لا تنفع بأخذه وخذ منه ما لا تقدر
على تركه واسجن لسانك كما تسجن عدوك واحذرهُ كما تحذر غائلته
وقال في ناديب النفس : اذا ابصرت بعض ما تكره من غيرك فأسرع الرجعة منه

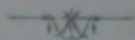
قبل ان يبصره منك من يستريه واحمد الله الذي احسن اليك وبصرك عيوب نفسك
وتيهك للرجوع عن غيك واذا اخبرك بعيبك صديق قبل ان يخبرك به عدو فاحسن
شكره واعرف حقه فان خير العدو تعيب وخير الصديق تأديب وفي ذلك اقول شعراً
ولن يهلك الانسان الا اذا اتى * من الامر ما لم يرضه ففعلوه

وقال في الحاسدين : اعلم انك لن تلقى من الخير درجة ولن تبلغ منه مرتبة ولن
تنزل منه منزلاً الا وجدت فيه من يفسدك وانما الحاسد خصم فلا تجعله حكماً فانه ان
حكى لم يحكم الا عليك وان قصد لم يقصد الا اليك وان دفع لم يدفع الا حقك وفي ذلك
اقول شعراً :

ولو كنت مثل القدح الفيت قائلاً * الا ما لهذا القدح ليس بقائم

ولو كنت مثل النعل الفيت قائلاً * الا ما لهذا النعل ليس بصارم

(١) ثم ادب صالح بن جناح بفضل منشي الروح ومجري الرياح الملك الوهاب
الفتاح وذلك في سلخ شهر ذي القعدة سنة ٨٦٠ او الحمد لله اولاً وآخراً وباطناً وظاهراً
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .



— ❦ — تنبيه ❦ —

لم تلق على ترجمة صاحب هذا الكتاب فيما بين ايدينا من الكتب وانما رأينا له
ذكراً في كتاب السلم للعالم بن عبد البر . حيث قال احسن ما قيل في الصمت ما ينسب
لعبد الله بن طاهر وهو

قلل كلامك واستعذ من شره * انت البلاء يعضه مقرون

واستفظ لسانك واحتفظ من يبه * حتى يكون كأنه مسجون

وكل فؤادك باللسان وقل له * ان الكلام عليك موزون

فزانه وليك محكما في قلة * ان البلاغة في القليل تكون

وقد قيل ان هذا الشعر لصالح بن جناح والله اعلم وهو اشبه بمنذهب صالح وطبعناه